

طعن بعض أعداء السنة في أحاديث انشقاق القمر؛ بدعوى امتناع وقوع مثل هذا الحدث من غير اشتهاٍ في سائر الأمصار، وزعموا أن انشقاق القمر معارضٌ لدلالة القرآن على امتناع إجراء الآيات الحسّية على يدي النبي ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَعَآتَيْنَا مُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩] ^(١).

الرّدُّ على هذه الشُّبهة من وجوه:

١. أن وقوعَ حادثة انشقاق القمر ثابتٌ بنص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وقد كان النبي ﷺ يقرأ بهذه السورة في الأعياد والمجامع العامة، فيسمعها المؤمن والمنافق ومن في قلبه مرضٌ، ولو لم يكن ذلك قد وقع لكان فيه أعظمُ مطعنٍ للمنافقين، وإيقاعٍ للريب في قلوب المسلمين.

فإن قيل: إن أسلوب الماضي في الآية ليس على حقيقته، بل هو للتأكيد على تحقق الفعل في المستقبل عند قيام الساعة، فنزل منزلة الواقع، ونظائره في القرآن كثيرة.

فيقال: إن هذا المعنى خلاف الظاهر من استعمال صيغة الماضي، ولا يجوز الخروج عن الظاهر إلا بقريضة، ومما يؤيد أن صيغة الماضي في الآية على ظاهرها قوله تعالى بعدها: ﴿وَأَنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾؛ لأن الكفار لا يقولون ذلك يوم القيامة، فإذا كان قولهم ذلك إنما هو في الدنيا تبين وقوع الانشقاق، وأنه المراد بقولهم إنه سحرٌ مستمرٌ.

٢. أن خبر انشقاق القمر متواترٌ، والعلم المستفاد من المتواتر يقينيٌّ ضروريٌّ، وقد حكى غير واحدٍ من أهل العلم الإجماع على وقوع هذه الحادثة، قال ابن كثير: «قد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه ﷺ، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة، تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها» ^(٢).

٣. أن حادثة انشقاق القمر وقعت ليلاً، وقت هدأة الناس وسكونهم وهجعتهم، فلا يبعد

(١) انظر: الصفدية (١٣٩-١٤٢)، وفتح الباري (٧/ ١٨٥-١٨٦)، ودفع دعوى المعارض العقلي (٣٤٤-٣٥٦)، والمعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين (٢/ ١٢٤٧-١٢٦٠).

(٢) البداية والنهاية (٤/ ٢٩٣).

خفاء ذلك عن أكثرهم، كما أن خسوف القمر يقع كثيراً، وأكثر الناس لا يحصل لهم العلم به في وقته، فإذا انضم إلى هذا أن زمن الانشقاق كان قصيراً، ولم تتوافر الدواعي على الاعتناء بالنظر إليه وقتها لأنه لم يكن متوقعاً؛ بطل الامتناع المزعوم.

٤. أن هذا الاعتراض مبني على نفي لا دليل عليه، فمن أين للمعترض أن الحادثة لم تستهر في وقتها؟ فالحادثة قد نقلها أكثر من صحابي، ونزل بإثباتها القرآن، وظل النبي ﷺ بعدها يتلو سورة القمر وما فيها من ذكر انشقاقه، وحوله ممن يكذبه من مشركي العرب وأهل الكتاب والمنافقين، ولم يُنقل عن أحد قط تكذيباً للواقعة، فعلم بذلك أن الحادثة كانت مشتهرة معروفة بينهم.

٥. أما الاعتراض بأن الحادثة لو وقعت لاشتهرت في سائر الأمصار؛ فهو أيضاً اعتراض مبني على نفي مجرد، فمن أين للمعترض أن تلك الحادثة لم يرها أحد في الأمصار الأخرى؟ وقد روى ابن جرير أن أهل مكة لما رأوا انشقاق القمر زعموا أن النبي ﷺ سحرهم، فسألوا من كانوا مسافرين، فأخبروهم أنهم رأوا ذلك أيضاً^(١)، وقال ابن كثير: «ويقال إنه أُرْحَ ذلك في بعض بلاد الهند»^(٢).

وأصل الإشكال عند من يطرح هذا الاعتراض اليوم: أنهم يفترضون أن هناك كتباً كثيرة متقدمة أرخت للأحداث الكونية في مختلف الأمصار، وأن هذه الكتب الكثيرة وصلت إلينا، وأن خلوت تلك الكتب - مع كثرتها - من ذكر هذه الحادثة أمرٌ مُشْكِلٌ، والواقع أن المصادر التاريخية التي بين أيدينا اليوم، والتي ترجع إلى تلك الحقبة الزمنية = قليلة جداً، وما وُجد منها فيه قصورٌ ظاهرٌ في تتبع الأحداث وتدوينها.

٦. لو فرض أن الحادثة لم تستهر في سائر الأمصار؛ فالكلام عن انشقاق القمر كلامٌ عن معجزة خارقة للعادة، وليس ثمة ما يمنع من أن يحجب الله رؤية انشقاقه عن غير أهل مكة وما قاربها، فيصرفهم عن رؤية ذلك بسحابٍ أو غيره.

٧. أمّا دعوى معارضة انشقاق القمر لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾؛ فهي دعوى متهافة؛ فإن هذه الآية لا تدل على امتناع أن يُجرى الله الخوارق على يدي النبي ﷺ، كيف وقد ثبت عنه ﷺ من الخوارق الكثير؛ كنع

(١) تفسير الطبري (٢٢/١٠٦).

(٢) البداية والنهاية (٤/٢٩٩).

الماء من بين أصابعه، وحنين الجذع له، وسلام الحجر عليه، وإخباره بالمغيّبات، وغير ذلك مما تواتر النّقلُ به.

وآية سورة الإسراء لا تتعارض مع ذلك كلّ، ومعناها يُعرّف مما ثبت في سبب نزولها؛ فإن قريشًا طلبوا من النبي ﷺ آياتٍ معيّنة بغرض التعجيز والعناد، فسألوه أن يقلّب لهم الصّفا ذهبًا، وأن يُنحّي عن مكة الجبال فيتمكّنوا من الزراعة^(١)، فنزلت الآيةُ مبينةً أن الله لن يعطيهم ما سألوا من المعجزات؛ لأنه لو أعطاهم إياها ثم أصروا على كفرهم؛ لعجّل لهم العقوبة، كما عجّل لأمثالهم من الأمم السالفة.

